

وباء أخلاقي يفصح الفقه السادي والسيادي

كورونا وكأننا منه بأمان. وبعيدا عن الإيميين من مريدي الحويني وغيره من محترفي الارتزاق بما يسمونه «الدعوة»، شغلني نموذج لحملة الدكتوراه مزووعي الوقاية الفلسفية، ولا داعي لإخفاء اسم ينشره صاحبه مع صورته في صفحته الفيسبوكية، وهو الدكتور هاني الحفناوي «خبير إدارة أصول المؤسسات وتحسين أداء وإنتاجية العاملين والمخزون والإدارة الاستراتيجية للدول والشركات»، وقد كتب في 1 أبريل 2020: «إسبانيا 102.136 مصاب و9.053 قتيل و589 يوما. ذنب محاكم التفتيش!»، ثم كتب: «إيطاليا 110.000 مصاب و13.155 قتيل و727 يوما. ذنب الحملات الصليبية». شككت في حقيقته، لولا حضور أصدقاؤه بتعليقات بعضها لائم، اكتفى ملتح حليق الشارب بآية «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب». وأعجبني تعليق عقلاني كتبه علي سنجاب: «يا دكتور هاني موش قادر أستوعب هذه الشماتة والكره لمن علموك ومنحوك الشهادات التي تفخر بها وتزين بها اسمك، مع أنك لست مخلولا من الله أن تحاسب الجيل الحالي على محاكم التفتيش. وأرجوك أن تتقبل مني كزميل وصديق أن أسالك عن كارت balanced score card التي تتحدث عنها أينما ذهبت؟ هو بالتأكيد موش منوفي أو إسكندراني لكنه لئلافس من الروم وأجره بالتأكيد على الله».

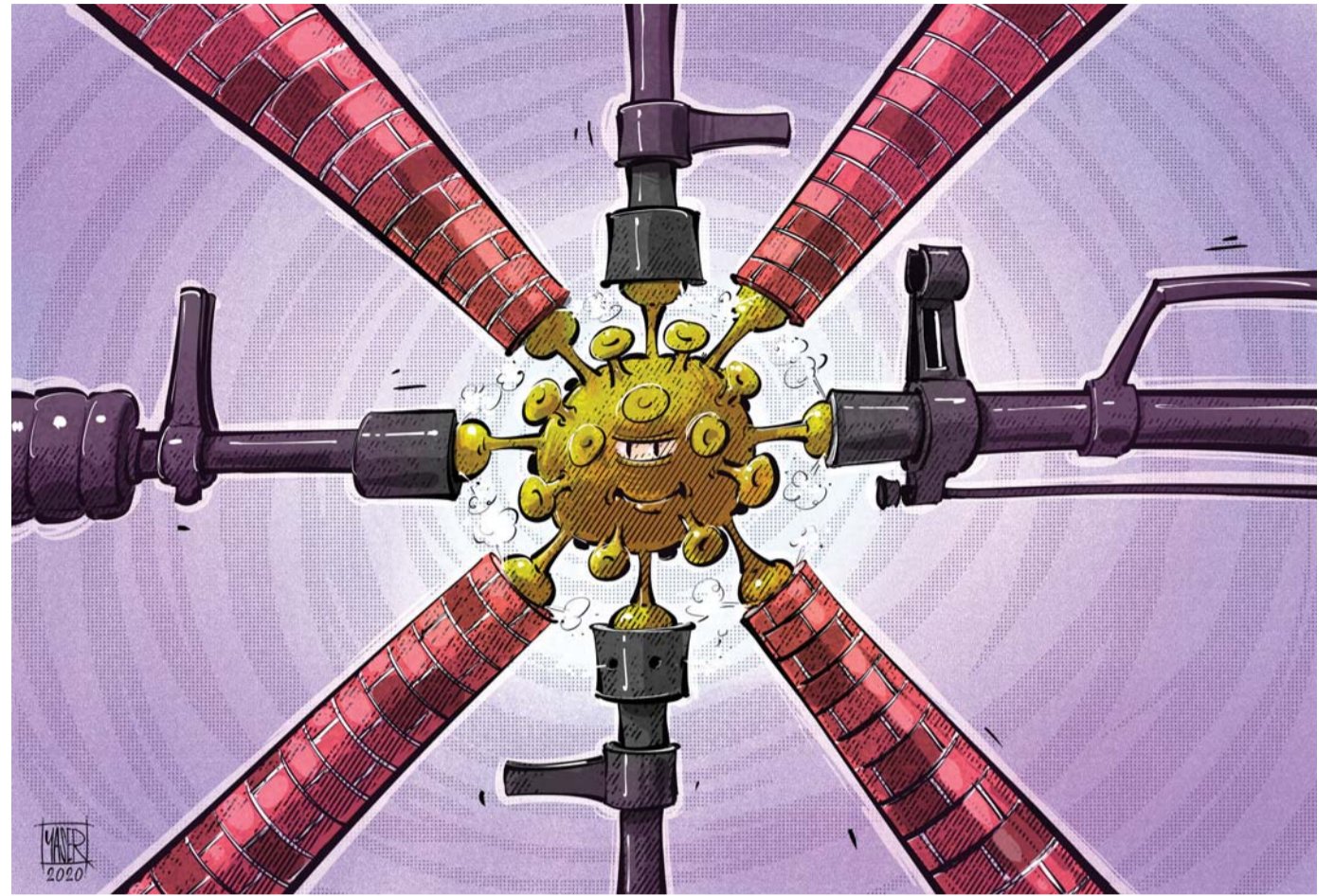
سعد القرشي
روائي مصري

للشاعر المصري صلاح جاهين رباعية عن الأثر الإنساني الشفيف أو الوحشي المدمر للخمر. للكأس نفسها نتائج متناقضة، بعد زوال قشرة النفاق عن المعدن الأصلي، وعودة النفوس إلى طابعها خالية من الإقنعة. ولم يفعل فايروس كورونا أكثر من الكشف عن الجوهر، إذ نجح في ردّ منغطرسين إلى أديميتهم وتذكيرهم بهشاشتهم ليتدبروا في ملكوت الأرض ويبحثوا عن حل ينقذ البشرية. كما أغرى آخرين بالخروج من محارة التقية، واستباق توصل «الغرب الكافر» إلى لقاح، والتحدث بشيء من الصلف والسادية عن مرحلة ما بعد الخطر الكوني. وهذا الصنف الأخير يخطو من السادية إلى أوهايم سيادة العالم، متشفيًا ومنتشيا بسكرة كورونا الذي بدأ وباء أخلاقيا.

تشهد الحروب والكوارث الطبيعية تجارا يستهدفون تحقيق ثراء اقتصادي استثنائي من دماء الخلق، وأتاح تسونامي كورونا مثل هذا الجشع لصيادلة ومستوردي مستلزمات طبية. ولكن الجديد في قضية كورونا هو الجشع الأخلاقي، وإعلان الاستحواذ على رحمة الله، والرهان على أنه سيختص بإنقاذ المسلمين إذا تمسكوا بالكتاب والسنة. وهذه الأمانى المجانية واجهها أمران: أولهما عدالة وباء يتخلل عن رذيلة انتقاء ضحاياها، فالناس سواسية. والثاني هو إغلاق المساجد والاستغناء عن ركاب الخطب، وحرمان الوعاظ من البات الإسقاط النفسي. وكما أراح كورونا الكوكب بكائناته البرية والبحرية من شرور البشر، فقد أراحنا من ميكروفونات تصخ اللعنات على غير المسلمين ممن تتربق البشرية توصلهم إلى لقاح.

كورونا بذكرنا بنسبة «الحقائق»، وبأن المطلق الذي أجمع عليه البشر هو الموت، وغيره مختلف عليه. الإيمان بالنسبية يشفي خائبي الرجاء من سادية تنتظر اشتراطاتها لفرض الإذعان على العالم، وللسادية سحرة سذج لهم جمهور يشبههم، ومن هؤلاء رجل يسمى نفسه أبوسحاق الحويني، وأعرف أطباء ومهندسين، وهم خريجو كليات القمة في الجامعات المصرية، يُلقون اسمه بإحدى هاتين الصفتين: «أعلم أهل الأرض»، و«محدث العصر». هؤلاء السذج ضحايا الحرمان من دراسة العلوم النظرية ليؤمنوا بنسبية الأشياء. وليس جديدا الإقرار بأن أغلب رموز الإرهاب النظري والميداني، من دراسي الطب والهندسة، القليل من النسبية، في الصغر، يحمي البشرية من ثلاثي جهالات يملك البعض من خريجي الكليات العملية والعسكرية والدينية. في الكليات العملية، التي تخلو منهاجها من تدريس العلوم الاجتماعية وخصوصا الفلسفة، يتفوق المتفوق تبعا لقدرة الذاكرة على حفظ المعلومات العلمية التطبيقية واستعادتها، ويعجز العقل غير المدرب على التفكير النسبي عن النظر في قضايا تتحمل وجهات نظر متعددة. وفي الكليات الشرعية والدينية إرساء لثنائيتي الوطنية والخيانة أو الحلال والحرام، والزام هيراركي يحرم الطالب أحيانا من حق السؤال أو الاعتراض، ويضعه في قالب السمع والطاعة، فلا يختلف إلا في الدرجة خريج كلية الشرطة عن عضو جماعة ذات ظلال تنظيمية عسكرية صارمة مثل الإخوان.

بعض الفلسفة يعالج هذا العطب ويزرع القلق في العقول ويمنح القلوب شيئا من التعاطف لا الشماتة بمن يعصف بهم فايروس غرة أخرى؟



ضياع الحوثيين من ضياع إيران

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بالحوثيين أنفسهم الذين يبدو أن لا هدف لهم سوى إقامة إمارة إسلامية على الطريقة الطالبانية لا تختلف في شيء عن تلك التي أقامتها «حماس» في قطاع غزة منذ صيف العام 2007.

ما يمكن استخلاصه من أحداث السنوات الأخيرة، خصوصا منذ بدء الزحف الحوثي في اتجاه صنعاء صيف العام 2014 أن الشيء الوحيد الذي يهّم الحوثيين هو السلطة من جهة وخدمة إيران من جهة أخرى بغض النظر عما يعاني منه اليمن واليمنيون.

لم يتوقف عبدالمكح الحوثي يوما أمام المرأة ويسأل نفسه عن المشروع السياسي والاقتصادي والحضاري الذي يهّم اليمن واليمنيين. ماذا لدى «انصار الله» يقدمونه للمواطن العادي غير فرض الضرائب والخوات وشراء الأراضي؟ لم يسأل نفسه ما مستوى التعليم في اليمن وهل بقي تعليم؟

يبقى الخوف في عجز الحوثيين عن استيعاب التطورات التي تجري في اليمن والمنطقة والعالم الذي غيره وباء كورونا والذي سينتشر أكثر في ظل هبوط أسعار النفط. طرا تراجع على اقتصاد الدول الخليجية القادرة. تمتلك هذه الدول القدرة على التعايش مع هذا التراجع الذي سيكون له تأثيره على المعاملة الأجنبية فيها وعلى الاستمرار في الحروب وعلى المساعدات التي تستطيع تقديمها إلى آخرين، بما في ذلك اليمن.

لكن ما فات الحوثيين، الذين يرفضون الاعتراف بأن المشروع التوسعي الإيراني تعرض لهزيمة وان الاقتصاد الإيراني في الحضيض، أن عليهم الخروج من الفكر الضيق الذي حضروا أنفسهم فيه. يقوم هذا الفكر على شعارات فارغة أولا وعلى أن لا مجال لحدوث أي تغيير في مواقفهم السياسية من دون إلحاق هزيمة عسكرية بهم.

في الواقع، إنهم يعانون مما هو أسوأ من هزيمة عسكرية في بلد تشكّل اسمه اليمن وفي منطقة تغيرت فيها

كل المعطيات التي كانت تتحكم بسياسة الدول ووردود أفعالها. في النهاية ماذا يفيد الجزء اليمني الذي يسيطر عليه الحوثيون إذا تحول إلى غرة أخرى؟

هل يعي الحوثيون أن وقف النار لا يعني أي انتصار من أي نوع لهم وأنه يفترض انصباب همهم على حماية اليمنيين من المصائب التي يبدو اليمن مقبلا عليها في منطقة سيغيرها انتشار وباء كورونا والهبوط الحاد السريع لأسعار النفط والغاز؟

إيرانية. حققت العملية العسكرية بعض أهدافها مع إخراج الحوثيين من عدن والمخا، لكن هؤلاء استطاعوا في الفترة الأخيرة التقدم في الجوف ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة. كذلك باقوا على أبواب مأرب التي أصبحت مهددة بالسقوط أكثر من أي وقت. هناك دوافع إنسانية وراء وقف النار، إضافة إلى الدوافع السياسية. نمة حاجة إلى أفق سياسي للحرب التي استمرت أكثر مما يجب في ضوء رفض الحوثيين البحث الجدي في كيفية الوصول إلى مخرج في اتجاه تسوية سياسية قابلة للحياة من نتائجها صيغة جديدة يعيش في ظلها اليمنيون بغض النظر عن المنطقة التي ينتمون إليها.

الأهم من ذلك كله أن يكون اليمن متصالحا مع محيطه العربي وليس مستعمرة إيرانية وقاعدة لـ«الحرس الثوري» في شبه الجزيرة العربية في ظل انتشار كورونا.

من الواضح أن الحوثيين لا يلتزمون أي اتفاق يوقعونه. الأدلة على ذلك كثيرة، تشمل اتفاق السلم والشراكة مع الأطراف اليمنية الأخرى مباشرة بعد وضع يدهم على صنعاء. لكن الجديد حاليا يتمثل في أن الحوثيين الذين حصلوا من خلال اتفاق السلم والشراكة، الذي وقع وقدتدك برعاية ممثل الأمين العام للأمم المتحدة جمال بنعمر ثم من خلال اتفاق ستوكهولم، على شرعية دولية، حصلوا الآن على نوع من الاعتراف العربي. فاتفاق وقف النار من جانب واحد الذي أعلنه التحالف العربي موجه إليهم ولم تدخل «الشرعية» التي يمثلها الرئيس المؤقت عبدربه منصور هادي طرفا فيه على نحو مباشر.

هل يعي الحوثيون أن وقف النار لا يعني أي انتصار من أي نوع لهم وأنه يفترض انصباب همهم على حماية اليمنيين من المصائب التي يبدو اليمن مقبلا عليها في منطقة سيغيرها انتشار وباء كورونا والهبوط الحاد السريع لأسعار النفط والغاز؟

لا تشجع تجارب الماضي القريب على التفاؤل. هذا لا يمنع من إبداء ملاحظتين. الأولى أن مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة مارتن غريفيث وسع إطار اتصالاته بدليل المحادثات التي أجراها أخيرا مع طارق محمد عبدالله صالح الذي يقود جبهة الحديدة في مواجهة الحوثيين.

إيرانية. حققت العملية العسكرية بعض أهدافها مع إخراج الحوثيين من عدن والمخا، لكن هؤلاء استطاعوا في الفترة الأخيرة التقدم في الجوف ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة. كذلك باقوا على أبواب مأرب التي أصبحت مهددة بالسقوط أكثر من أي وقت. هناك دوافع إنسانية وراء وقف النار، إضافة إلى الدوافع السياسية. نمة حاجة إلى أفق سياسي للحرب التي استمرت أكثر مما يجب في ضوء رفض الحوثيين البحث الجدي في كيفية الوصول إلى مخرج في اتجاه تسوية سياسية قابلة للحياة من نتائجها صيغة جديدة يعيش في ظلها اليمنيون بغض النظر عن المنطقة التي ينتمون إليها.

الأهم من ذلك كله أن يكون اليمن متصالحا مع محيطه العربي وليس مستعمرة إيرانية وقاعدة لـ«الحرس الثوري» في شبه الجزيرة العربية في ظل انتشار كورونا.

من الواضح أن الحوثيين لا يلتزمون أي اتفاق يوقعونه. الأدلة على ذلك كثيرة، تشمل اتفاق السلم والشراكة مع الأطراف اليمنية الأخرى مباشرة بعد وضع يدهم على صنعاء. لكن الجديد حاليا يتمثل في أن الحوثيين الذين حصلوا من خلال اتفاق السلم والشراكة، الذي وقع وقدتدك برعاية ممثل الأمين العام للأمم المتحدة جمال بنعمر ثم من خلال اتفاق ستوكهولم، على شرعية دولية، حصلوا الآن على نوع من الاعتراف العربي. فاتفاق وقف النار من جانب واحد الذي أعلنه التحالف العربي موجه إليهم ولم تدخل «الشرعية» التي يمثلها الرئيس المؤقت عبدربه منصور هادي طرفا فيه على نحو مباشر.

هل يعي الحوثيون أن وقف النار لا يعني أي انتصار من أي نوع لهم وأنه يفترض انصباب همهم على حماية اليمنيين من المصائب التي يبدو اليمن مقبلا عليها في منطقة سيغيرها انتشار وباء كورونا والهبوط الحاد السريع لأسعار النفط والغاز؟

لا تشجع تجارب الماضي القريب على التفاؤل. هذا لا يمنع من إبداء ملاحظتين. الأولى أن مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة مارتن غريفيث وسع إطار اتصالاته بدليل المحادثات التي أجراها أخيرا مع طارق محمد عبدالله صالح الذي يقود جبهة الحديدة في مواجهة الحوثيين.

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس إعلان التحالف العربي لدعم «الشرعية» في اليمن وقف النار من جانب واحد لمدة أسبوعين حدا عابدا. يشير مثل هذا التطور إلى وجود رغبة إقليمية ودولية في تحول وقف النار هذا إلى تسوية سياسية دائمة.

هل يسعى الحوثيون بالفعل إلى تسوية سياسية أم يعانون من حال ضياع امتدادا لذلك التي تعاني منها إيران. جعلتهم حال الضياع هذه يطلقون، قبل أيام، صواريخ باليستية في اتجاه الأراضي السعودية وكان هذه الصواريخ يمكن أن تقذف أو تؤخر أو أن تقيد اليمنيين في شيء ما. إذا كان من فائدة لهذه الصواريخ، فهي تصب في غير مصلحة الحوثيين الذين يفتنون يوميا أن لديهم أجندة واحدة هي الأجندة الإيرانية.

تساعد مثل هذه التسوية السياسية، التي هي هدف التحالف العربي والتي لا تزال بعيدة المنال، في إخراج اليمن من الوضع المساوي الذي يعاني منه منذ سنوات عدة، خصوصا أن ليس معروفا بعد مدى انتشار وباء كورونا في اليمن. سيكون لانتشار كورونا نتائج كارثية في بلد فقير لا وجود لنظام صحي فيه. انهار هذا النظام الصحي كليا بعدما عانى طويلا من إهمال حكومي. زاد هذا الإهمال بعد اضطراب علي عبدالله صالح إلى الاستقالة في شباط - فبراير 2012 ثم استيلاء الحوثيين على صنعاء في 21 أيلول - سبتمبر 2014. كل ما في اليمن، في الوقت

الحاضر، حروب متنتفة وظلم ليس بعده ظلم يعيش في ظله أهل صنعاء وكل المناطق التي تقع تحت سيطرة الحوثيين، الذين يسفون أنفسهم «انصار الله». هناك مناطق أخرى تعاني من ظلم الحوثيين بما في ذلك قسم من تعز في وسط اليمن حيث يتبادلون الخدمات مع «انصار الله» من تحت الطاولة أحيانا وبشكل علني في أحيان أخرى. هذا لا يعني أن الوضع مستتب في الجنوب في ظل عجز «الشرعية» عن تحمل مسؤولياتها في عدن ومناطق أخرى موجودة فيها.

أظهر التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية نضجا سياسيا كبيرا بإعلانه وقف النار من جانب واحد بعد أيام قليلة من ذكرى مرور خمس سنوات على انطلاق «عاصفة الحزم». لا يمكن تجاهل أن أمورا كثيرة ومعطيات في غاية الأهمية تغيرت في المنطقة كلها بعدما تراقق انتشار كورونا مع هبوط كبير في أسعار النفط. كان الهدف من «عاصفة الحزم» الحؤول دون تحول اليمن قاعدة